﴿فَلَوۡلَا نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُرۡبَانًا ءَالِهَةَۖ بَلۡ ضَلُّواْ عَنۡهُمۡۚ وَذَٰلِكَ إِفۡكُهُمۡ وَمَا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ٢٨﴾ [الأحقاف: 28]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قبلَها:

نـزولُ العـذابِ كـاشـفٌ سـوءةَ الآلهة الزّائفة

لمّا ذكر النَّظمُ الجليل قصَّة عادٍ على وجه التَّفصيل، وألحقه بالتَّنويه على عذاب أهل القرى على الإجمال؛ أتبعه بتوبيخهم على عبادة من لا يدفع عنهم العذاب، ولا يملك لهم نفعًا ولا ضرًّا[1]، فوبَّخهم بأنَّ أصنامهم لم تقدر على نصرتهم وقت حاجتهم إليها، ولم تشفع لهم وقت حلول العذاب عليهم[2]، فهو انتقالٌ من ذكرِ حال المعذَّبين، إلى ذِكر آلهتهم الَّتي كانوا يعبدونها من دون الله تعالى؛ لبيانِ مآل الظُّلم في العبادةِ، واتِّخاذ الأنداد من دون الله تعالى.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿نَصَرَهُمُ﴾: (نصر) أصلٌ يدلُّ على إتيانِ خَيرٍ وإيتائِه، ونصر الله المسلمين: آتاهُمُ الظَّفَرَ على عدوِّهم[3]، وأصله: الإمداد بما فيه زيادةٌ ومناسبةٌ وقوَّة[4]، والنَّصرُ: عَوْنُ المظلوم، والنُّصْرة: حُسْنُ المَعونة[5]، ونَصَرَ الغيثُ الأرضَ: غاثَها[6]، وانتصَر الرَّجُل؛ إذا امتَنَع مِنَ ظالِمِه[7]، والنَّصرُ والنُّصرَةُ: العَونُ، ﴿فَلَوۡلَا نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾[8]، وسائر ما في القرآن من التَّركيب ومنه (نصر)، (ناصر)، (نصير)؛ فهو بمعنى المعونة حالًا أو مآلًا، ومن الإمداد

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 55.
(2) النيسابوري، غرائب القرآن: 6/ 124.
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (نصر).
(4) محمد جبل، المعجم الاشتقاقي: (نصر).
(5) الخليل، العين، الأزهري، تهذيب اللغة: (نصر).
(6) الجوهري، الصحاح: (نصر).
(7) ابن منظور، لسان العرب: (نصر).
(8) الراغب، المفردات: (نصر).

المذكور استُعمِل النَّصر بمعنى الإنقاذ أو الخلوص من العذاب، فهو من جنس المعونة الَّتي هي تقوية، كما في قوله تعالى: ﴿وَيَٰقَوۡمَ مَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمۡۚ﴾ [هود: 30][1]، والمراد به في الآية الكريمة: المنع من الهلاك[2].

2) ﴿قُرۡبَانٗا﴾: (قرب) أصلٌ يدلُّ على خلاف البُعد[3]، والتَّقرُّب: التَّدنّي إلى شيء، والتَّوصُّل إلى إنسانٍ بقُرْبةٍ أو بحقٍّ، والاقتراب: الدُّنوُّ[4]، والقُرْبانُ: ما تَقَرَّبْتَ به إلى الله تبتغي به قُرْبًا ووسيلة[5]، وصار في العُرف اسمًا للنَّسيكة الَّتي هي الذَّبيحة، وجمعه: قَرابينُ، قال تعالى: ﴿إِذۡ قَرَّبَا قُرۡبَانٗا﴾ [المائدة: 27][6]، والقُرْبان مصدرُ قَرُبَ يَقْرُب، أي: يَتَقَرَّبون إلى الله، وكانَ قُرْبان الأُمَم السّالفةِ ذَبْحَ البَقَرِ، والغَنَمِ، والإبل[7]، والمراد به في الآية الكريمة: التَّقرُّب إلى الله[8].

3) ﴿إِفۡكُهُمۡ﴾: (أفك) أصلٌ يدلُّ على قَلْبِ الشَّيءِ وصَرفِه عَن جِهَتِه، أفَكْتُ الرَّجُلَ عَنِ الشَّيءِ: إذا صَرَفْتُهُ عَنهُ[9]، أفك يأفك أفكًا، وأفَكْته عن الأمر: صرفته عنه بالكذب والباطل[10]، والإفك: كلُّ مصروف عن وجهه الَّذي يحقُّ أن يكون عليه، كقوله تعالى: ﴿قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۖ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ٣٠﴾ [التوبة: 30]، أي: يُصرفون عن الحقِّ في الاعتقاد إلى الباطل، ومن الصِّدق في المقال إلى الكذب، ومن الجميل في الفعل إلى القبيح[11]، والمراد به في الآية الكريمة: كَذِبُهم[12].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

تُبيِّن الآيةُ الكريمة توبيخَ الله تعالى الَّذين كفروا، مخاطبًا إيّاهم: هلّا منعت تلك

(1) محمد جبل، المعجم الاشتقاقي: (نصر).
(2) النخجواني، الفواتح الإلهية: 2/ 324.
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (قرب).
(4) الأزهري، تهذيب اللغة: (قرب).
(5) الخليل، العين: (قرب).
(6) الراغب، المفردات: (قرب).
(7) ابن منظور، لسان العرب: (قرب).
(8) السمعاني، تفسير السمعاني: 5/ 161.
(9) ابن فارس، مقاييس اللغة: (أفك).
(10) الخليل، العين: (أفك).
(11) الراغب، المفردات: (أفك).
(12) السمعاني، تفسير السمعاني: 5/ 162.

توبيخُ الكافرين ببيانِ حال معبوداتهم

الأصنامُ أصحابَها من الهلاك، وهلّا نصر هؤلاء الَّذين أهلكناهم من تلك القرى أصنامهم، الَّتي اتَّخذوا عبادتها قربانًا يتقرَّبون بها إلى الله جهلًا منهم، بل إنَّ هذه الأصنام قد ضلَّت عنهم، وغابت عن الحضور لنصرتهم، فلم يجيبوهم، ولا دافعوا عنهم، وذلك كَذِبُهم الَّذي افترَوْهُ بجَعْلِهم آلهةً من دون الله ﷻ[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ:

نوعُ الفاءِ ودلالتها:

تفريعُ حالِ الآلهةِ بعد حال عابديها

افتتح النَّظمُ الجليل الجملة في قوله جلَّ شأنه: ﴿فَلَوۡلَا نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُرۡبَانًا ءَالِهَةَۢۚ﴾ بالفاء، وهي هنا للتَّفريع، فلمّا ذكر عذاب عاد، وعذاب أهل القرى للموعظة؛ فرَّع عليه توبيخ آلهتهم الَّتي قعدت عن نصرهم وإنقاذهم من العذاب، والمقصود توبيخُ الهالكين على شركهم[2].

نكتةُ استعمال (لولا):

توبيخُ الكافرين على اتِّخاذ آلهة عاجزة عن نصرهم

عبَّر النَّظمُ الجليل بـ (لولا) في قوله جلَّ شأنه: ﴿فَلَوۡلَا نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُرۡبَانًا ءَالِهَةَۢۚ﴾؛ للدَّلالة على التَّحضيض، أي: فهلّا منعت الأصنام العذاب عنهم[3]، والمراد من هذا التَّحضيض التَّوبيخ؛ وذلك أنَّ لولا عند دخوله على جملة فعليَّة يكون دالًّا على التَّحضيض، فهو تحضيض للفاعل على تحصيل الفعل المذكور، وإذا كان الفاعل المذكور غير مقصود بالخطاب - كما في الآية - فإنَّ (لولا) تكون للتَّوبيخ؛ إذ لا يتَّجه تحضيض المخاطَب على فعل غيره[4]، فهو توبيخٌ للكافرين؛ لاتِّخاذهم آلهةً عاجزة عن نصرهم.

(1) جماعة من العلماء، التفسير الميسر: 1/ 505.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 55.
(3) المراغي، تفسير المراغي: 26/ 28.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 56.

فائدةُ استعمال فعل ﴿نَصَرَهُمُ﴾ مادَّة وصيغة:

التَّعريضُ بزعمِ المشركين وإبطال معتقدهم

عبَّر النَّظم الجليل بفعل النَّصر في قوله جلَّ شأنه: ﴿فَلَوۡلَا نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُرۡبَانًا ءَالِهَةَۢۖ﴾؛ للدَّلالة على المنع، أي: فهلّا منعتهم آلهتهم من نزول العذاب والإهلاك[1]، وجاء التَّعبير بصيغة الفعل الماضي؛ للدَّلالة على تحقُّق انتفائه، واختيار هذا الفعل للتَّعريض بما كانوا يقولونه من أنَّ الآلهة ستنصرهم؛ إن نزل بهم عذاب الله الماحق.

نكتةُ تقديم المفعول به على الفاعل:

الأهمُّ في السّياق أولى بالتَّقديم

قدَّم النَّظم الجليل المفعول به على الفاعل في قوله جلَّ شأنه: ﴿فَلَوۡلَا نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُرۡبَانًا ءَالِهَةَۢۖ﴾، فقدَّم الضَّمير المتَّصل في ﴿نَصَرَهُمُ﴾ على الفاعل الَّذي هو الاسم الموصول[2]، وذلك للإيجاز في التَّعبير، وللاهتمام بالمقدَّم؛ إذ هو المتحدَّث عنه في السّياق، فالمقصود من النَّصر أن يقع عليهم، وهو أهمُّ في السّياق من النّاصر.

بلاغةُ استعمالِ الاسم الموصول ﴿ٱلَّذِينَ﴾:

التَّهكُّم بالمشركين بتنزيلِ آلهتهم منزلة العقلاء

عبَّر النَّظم الجليل بالاسم الموصول في قوله جلَّ شأنه: ﴿فَلَوۡلَا نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُرۡبَانًا ءَالِهَةَۢۖ﴾؛ وذلك لما تضمَّنته صلته من الإشارة إلى خطَئِهم وغلطهم الَّذي أودى بهم، وهو عبادتهم من دون الله تعالى، فلم تغنِ عنهم شيئًا، وإنَّما جاء بالموصول ﴿ٱلَّذِينَ﴾، وهو دالٌّ على العقلاء، فعامل الأصنام معاملة العقلاء؛ جريًا على الغالب في استعمال العرب[3]، وهو هنا من باب التَّهكُّم بهم؛ جريًا على ما آثروه في الاستعمالِ، فلمّا جعلوا الآلهة

(1) المراغي، تفسير المراغي: 26/ 28.
(2) الدرة، تفسير القرآن الكريم وإعرابه: 9/ 50.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 56.

قادرةً؛ كان التَّعبير بما يوحي بذلك؛ للتَّبكيت والتَّهكُّم بأصحاب المعتقدات الفاسدة.

دلالةُ استعمالِ فعل ﴿ٱتَّخَذُواْ﴾ مادَّة وصيغة:

افتعالُ الجهد الكبيرِ بريدُ الكذبِ المبير

آثر النَّظمُ الجليل استعمالَ مفردة فعل الاتِّخاذ في قوله جلَّ شأنه: ﴿فَلَوۡلَا نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُرۡبَانًا ءَالِهَةَۢۚ﴾، وهو مشتقٌّ من الأخذ الدّالِّ على حوز الشَّيء وتحصيله، والاتِّخاذ افتعال منه[1]، فقد عملوا على تحصيل آلهة من دون الله تعالى، وجاء التَّعبير بصيغة الافتعال؛ للدَّلالة على اجتهادهم في ذلك[2]، كما أنَّه يشير إلى أنَّ تلك المعبودات إنَّما هي باصطناعهم لها، وهم يعرفون زيفها، فما اتَّخذوها إلّا بعد طول تعبٍ ونصبٍ وإقناعٍ للعقولِ الضَّعيفة بقدرة الآلهةِ على النُّصرة، ثم لم يكن لهم إلّا همُّها وغمُّها، وآثار خيبتها وبطلان هيبتها.

نكتةُ تقديم القيد على المفعول:

تهويلُ الشِّرك بتهوين شأن كلِّ آلهةٍ غير الله تعالى

قدَّم النَّظم الجليل شبه الجملة على المفعول به في قوله جلَّ شأنه: ﴿فَلَوۡلَا نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُرۡبَانًا ءَالِهَةَۢۚ﴾، فلم يقل: (الَّذين اتَّخذوا قربانًا آلهة من دون الله)؛ للتَّعجيل بتهويل جريمة الشِّرك واتِّخاذ آلهة من دون الله تعالى.

نوع ﴿مِن﴾ ودلالتها:

عبَّر النَّظم الجليل بحرف الجرِّ ﴿مِن﴾ في قوله جلَّ شأنه: ﴿ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُرۡبَانًا ءَالِهَةَۢۚ﴾، وهي هنا ابتدائيَّة؛ للدَّلالة على سفول رتبة هذه الآلهة؛ إذ إنَّ شأنها ابتدأ من مرتبة سُفلى[3].

(1) الراغب، المفردات: (أخذ).
(2) الخطيب، السراج المنير: 4/ 16.
(3) البقاعي، نظم الدرر: 18/ 176.

فائدة استعمال ﴿دُونِ﴾:

كلُّ معبودٍ من دون الله في الدّون

عبَّر النَّظم الجليل بالظَّرف ﴿دُونِ﴾ في قوله جلَّ شأنه: ﴿ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُرۡبَانًا ءَالِهَةَۖ﴾؛ للدَّلالة على سفول رتبة الآلهةِ، وقلَّة عقول من اتَّخذهم[1]، كما أنَّه يدلُّ على المباعدة والتَّجاوز، أي: قد تجاوزوا الله في اتِّخاذ تلك الأصنام آلهة من دونه، والمراد من ذلك تشويه حالهم وتبشيع شركهم[2]، كما أنَّ ذِكْرَ الظَّرف يومئ إلى أنَّ كلَّ ما اتَّخذه النّاس هو دون الله تعالى.

نكتةُ التَّعبيرِ بعنوان الألوهيَّة:

اللهُ الجليلُ هو الإله الحقُّ وكلُّ ما سواه باطل

آثر النَّظم الكريم التَّعبيرَ بالاسم الجليل، في قوله جلَّ شأنه: ﴿فَلَوۡلَا نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُرۡبَانًا ءَالِهَةَۖ﴾؛ إشارةً إلى أنَّه الملك الأعظم، الَّذي هو أعظم من كلِّ معبوداتهم، وهو المستحقُّ للعبادة[3]، فذِكرُ اسم الجلالة يقتضي بتلاشي كلِّ ما في أذهانهم من معبودات زائفة صنعوها بأيديهم.

نكتةُ حذف المفعول الأوَّل:

حذف النَّظم الجليل المفعولَ الأوَّل لفعل الاتِّخاذ في قوله جلَّ شأنه: ﴿فَلَوۡلَا نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُرۡبَانًا ءَالِهَةَۖ﴾ والتَّقدير: (فلولا نصرهم الَّذين اتَّخذوهم آلهة من دون الله قربانًا)[4]، والغرضُ من ذلك الإيجاز بحذف المعلوم من السّياق.

نكتةُ تقديمِ شبه الجملة:

قدَّمت الآية الكريمة قوله: ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ على مفعول (اتَّخذ)؛ لأنَّ مناطَ الأمر، وسرَّ البشاعة فيه، هو أنَّهم اتَّخذوها آلهة من دون الله، فالتَّقديم هو لما تتحقَّق به الأهمّيَّة.

---

(1) البقاعي، نظم الدرر: 18/ 176.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 56.
(3) الخطيب، السراج المنير: 4/ 16.
(4) النيسابوري، غرائب القرآن: 6/ 124.

دلالةُ لفظ ﴿قُرۡبَانًا﴾:

القربةُ لله تعالى بالتَّوحيد لا بالأصنام

آثر النَّظمُ الكريم استعمالَ مفردة القربان في قوله جلَّ شأنه: ﴿فَلَوۡلَا نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُرۡبَانًا ءَالِهَةَۖ﴾؛ للدَّلالة على حالهم أو لبيان غايتهم، فهو صالح لأن يكون حالًا، أي: متقرِّبين إلى الله، ويصلح أن يكون مفعولًا لأجله، أي: لأجل القربة بزعمهم[1]، وجاء التَّعبير بصيغة المصدر للمبالغة فيه، وبيان كونه تقرُّبًا عظيمًا[2]، والمراد بذلك الإنكار عليهم في طريقة التَّقرُّب إلى الله باتِّخاذ تلك الأصنام وسيلة للقربة، فإنَّما قال ذلك؛ لأنَّهم قالوا: إنَّ عبادتنا لهم إنَّما نبغي أن تقرِّبنا إلى الله[3].

نكتةُ تنكير ﴿قُرۡبَانًا﴾:

أفاد تنكيرها هنا تحقير هذه القرابين من آلهتهم المزعومة، والنَّعي عليهم اتِّخاذها من دون الله.

فائدةُ حرفِ الإضراب ونوعه:

التَّهكُّمُ بالكافرين بضياع آلهتهم وقت عوزهم

عبَّر النَّظم الجليل بحرف الإضراب ﴿بَلۡ﴾، في قوله جلَّ شأنه: ﴿بَلۡ ضَلُّواْ عَنۡهُمۡۚ وَذَٰلِكَ إِفۡكُهُمۡ وَمَا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ﴾، وهي هنا للعطف والإضراب والاستدراك؛ لأنَّ لولا فيه معنى النَّفي، أي: ما نصروهم، ولا قرَّبوهم إلى الله، بل غابوا عنهم وقت حلول العذاب[4]، فهو مساق للتَّهكُّم بهم، فلم ينصروهم؛ لغيابهم عنهم وضياعهم بالكلِّيَّة[5].

نكتةُ عطف ﴿ضَلُّواْ﴾ على ﴿نَصَرَهُمُ﴾:

لم يقع النَّصر، ولم يقع الحضور تهكُّمًا بالضّالّين

عطف النَّظمُ الجليل الضَّلال على النَّصر، في قوله جلَّ شأنه: ﴿بَلۡ ضَلُّواْ عَنۡهُمۡۚ وَذَٰلِكَ إِفۡكُهُمۡ وَمَا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ﴾، بـ ﴿بَلۡ﴾ فلمّا نفى

(1) النيسابوري، غرائب القرآن: 6/ 124.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 56.
(3) السمعاني، تفسير السمعاني: 5/ 161.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 56.
(5) الهرري، حدائق الروح والريحان: 27/ 74.

النُّصرة؛ انتقل إلى نفي ما هو أخصُّ منها؛ لأنَّ نفي النُّصرة لا يقتضي نفي حضور الآلهة، فأفاد أنَّهم لم يحضروا بالكلّيَّة، فضلًا عن أن ينصروهم[1].

دلالةُ التَّعبيرِ بالضَّلال:

ضـلالُ المعبودِ كضياعِ العابد

عبَّر النَّظم الجليل بالضَّلال في قوله جلَّ شأنه: ﴿بَلْ ضَلُّواْ عَنْهُمْۖ وَذَٰلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُواْ يَفْتَرُونَ﴾؛ للدَّلالة على عدم الاهتداء، والمراد به هنا الغيبة عن الحضور وعن تحقيق النُّصرة والانتفاع المرجوِّ منهم، أي: قد غابوا عنهم[2]، وفيه إشعارٌ باتِّصافهم بالضَّلال المبين، كاتِّصاف معبوداتهم الَّتي يعبدونها من دون الله تعالى، فالضّالُّ لا يعبد إلّا ضالًّا مثله.

بلاغةُ التَّضمينِ باستعمال حرف (عن):

استعمل النَّظم الجليل حرف (عن) في قوله تعالى: ﴿بَلْ ضَلُّواْ عَنْهُمْۖ وَذَٰلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُواْ يَفْتَرُونَ﴾؛ لتضمينه معنى الغيبةِ، أي: غابوا عنهم، وابتعدوا، فلم يظهروا وقت الحاجة إليهم.

نوعُ الواو ودلالتها:

الشُّروعُ في بيان الكذب بعد ذكرِ دعواهم

افتتح النَّظم الجليل الجملة بالواو في قوله جلَّ شأنه: ﴿وَذَٰلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُواْ يَفْتَرُونَ﴾، وهي هنا للاستئناف[3]، سيقت للتَّصريح بأنَّ القصَّة المذكورة وما جرى لهم من العذاب يظهر "خلاف ما كانوا يقولون: إنَّ أوثانهم آلهة، وإنَّها تضرُّ، وتنفع، وتقرِّبهم إلى الله، وتشفع لهم عنده"[4]، فهو لبيان التَّهكُّم بهم وإظهار كذبهم.

بلاغةُ التَّعبيرِ باسم الإشارة للبعيد:

الـضّـالُّ بعيد عن جادَّة الحقِّ وسبيل الهداية

آثر النَّظمُ الكريم التَّعبير باسم الإشارة الدّالِّ على البُعد، في

(1) الهرري، حدائق الروح والريحان: 27/ 85.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 56.
(3) الهرري، حدائق الروح والريحان: 27/ 86.
(4) البقاعي، نظم الدرر: 18/ 176.

قوله جلَّ شأنه: ﴿وَذَٰلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُواْ يَفْتَرُونَ﴾؛ للدَّلالة على أنَّ اتِّخاذهم تلك الآلهة كان في غاية البُعد عن الصَّواب، وأنَّ ضلالهم بعيد عن السَّداد والحقِّ[1].

بلاغةُ عطفِ الافتراء على الإفك ونوعه:

الافتراءُ نوعٌ من الكذب، وهو اختلاق الكذب وقصده

عطف النَّظمُ الجليل الافتراء على الإفك في قوله جلَّ شأنه: ﴿وَذَٰلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُواْ يَفْتَرُونَ﴾، وهو من باب عطف العامِّ على الخاصِّ[2]، فالافتراء: نوع من الكذب، وهو ابتكار الأخبار الكاذبة، فإنَّ زَعْمَهم الأصنام شركاء لله كذبٌ مرويٌّ قبلهم، فهو إفكٌ، وأمّا زعْمُهم أنَّها تقرِّبهم إلى الله؛ فذلك افتراء هم اخترعوه[3].

فائدةُ استعمال مفردة ﴿إِفْكُهُمْ﴾ دون (ضلالهم):

حقيقةُ الأفعالِ معذوقةٌ بعللها

عبَّر النَّظم الجليل بالإفك في قوله جلَّ شأنه: ﴿وَذَٰلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُواْ يَفْتَرُونَ﴾؛ للدَّلالة على كذبهم الَّذي اخترعوه، أمّا الضَّلال؛ فهو عدم الاهتداء، فالإفك هنا أخصُّ من الضَّلال، وإضافته من إضافة المصدر إلى فاعله، أي: الإفك الَّذي فعلوه[4]، فقد تحصَّل لهم الضَّلال؛ بسبب الإفك والافتراء الَّذي جنوه، فحقيقةُ الأفعال معذوقة بعللها.

نوع (ما) ودلالتها:

عبَّر النَّظم الجليل بـ (ما) في قوله جلَّ شأنه: ﴿بَلْ ضَلُّواْ عَنْهُمْ وَذَٰلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُواْ يَفْتَرُونَ﴾، وهي صالحة أن تكون مصدريَّة، والمصدر معطوف على الإفك، وذلك إفكهم وافتراؤهم، وصالحة أن تكون موصولة، أي: والَّذي افتروه[5].

(1) البقاعي، نظم الدرر: 18/ 176.
(2) الطيبي، فتوح الغيب: 14/ 309.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 56 - 57.
(4) الدرة، تفسير القرآن الكريم وإعرابه: 9/ 50.
(5) الدرة، تفسير القرآن الكريم وإعرابه: 9/ 51.

نكتة ذكر ﴿كَانُواْ﴾:

ذكر النَّظمُ الجليل فعلَ الكون في قوله جلَّ شأنه: ﴿بَلْ ضَلُّواْ عَنْهُمْۖ وَذَٰلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُواْ يَفْتَرُونَ﴾، فلم يقل: (وما يفترون)؛ للدَّلالة على أنَّ الافتراء دائمٌ فيهم وطبْعٌ راسخ فيهم[1].

بلاغةُ التَّعبير عن الإفك بالاسم وعن الافتراء بالفعل:

الإفك كذبٌ مرويٌّ متناقل، والافتراء كذبٌ اخترعوه، وأوجدوه متجدِّدًا

عبَّر النَّظم الجليل عن الإفك بالاسم في قوله جلَّ شأنه: ﴿وَذَٰلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُواْ يَفْتَرُونَ﴾؛ للدَّلالة على تأكيد ثبوت إفكهم، وأنَّها حقيقة تتناقلها الأخبار، وعبَّر عن الافتراء بالفعل؛ للدَّلالة على أنَّهم اخترعوه، وجاء بصيغة الفعل المضارع أنَّهم يكرِّرونه، ويجدِّدونه حالًا بعد حال، فجيء به مضارعًا؛ لبيان إصرارهم عليه، وأنَّهم دائمون مستمرّون فيه[2]، كما أنَّ صياغته فعلًا مسندًا إلى واو الجماعة يحافظ على نسق الفاصلة.

❁ الفُروقُ المُعجَمِيَّةُ:

الافتراء والكذب:

الكذب مخالفة الحقيقة، والافتراء مخالفتها بما لا يرتضيه المكذوب عنه

الكذب: هو عدم مطابقة الخبر للواقع، أو لاعتقاد المخبر لهما على خلاف في ذلك، والافتراء: افتعال من الفري، وهو أقبح الكذب، وهو الكذب المتعمَّد[3]، فهو أخصُّ من الكذب، وهو كذب المرء في حقِّ غيره بما لا يرتضيه، بخلاف الكذب فإنَّه قد يكون في حقِّ المتكلِّم نفسه، ولذا يقال لمن قال: (فعلت كذا، ولم أفعل كذا) غير صادقٍ: هو كاذب، ولا يقال: هو مفترٍ، وكذا من مدح أحدًا بما ليس فيه، يقال: إنَّه كاذب في وصفه، ولا يقال: هو مفترٍ؛ لأنَّ في ذلك ممّا يرتضيه المقول فيه غالبًا، وقال سبحانه حكاية عن الكفار: ﴿ٱفْتَرَىٰ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 57.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 56 - 57.
(3) السمين الحلبي، عمدة الحفاظ: (فري).

عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ [المؤمنون: 38]؛ لزعمهم أنَّه أتاهم بما لا يرتضيه الله سبحانه مع نسبته إليه، وأيضًا قد يحسن الكذب على بعض الوجوه، كالكذب في الحرب، وإصلاح ذات البين، وعدَّة الزَّوجة، كما وردت به الرِّواية، بخلاف الافتراء[1]، فعبَّر عنهم بكونهم مفترين؛ لأنَّهم كذبوا على الله تعالى بما لا يرتضيه، بأن جعلوا له شركاء في العبادة.

(1) العسكري، الفروق، ص: 449 - 450.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الخامس والخمسون،
سورة الجاثِية من الآية 16 إلى سورة محمَّد الآية 06
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الخامس والخمسون، سورة الجاثِية من الآية 16 إلى سورة محمَّد الآية 06
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 55 ، 800 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-659-89-1
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 55 : المجلد الخامس والخمسون، سورة الجاثِية من الآية 16 إلى سورة محمَّد الآية 06.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-659-89-1
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-4299298 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"